دمج مسلمي فرنسا

جوزيف مسعد *

يقدم الفرنسيون أنفسهم، عادة، على أنهم أعظم مصممي الأزياء وسادة الطهي في العالم، وعلى أن لغتهم «المصقولة» و«الحضارية» هي الأنسب، من بين لغات العالم، لكلام الحب والعشق الرومانسي. وهكذا فعلاً يراهم الأوروبيون الغربيون والأميركيون البيض. لكن تختلط مشاعر الأميركيين البيض، كما هي الحال مع الألمان والبريطانيين، تجاه الفرنسيين ما بين الحب والكره، إلا أنه يبدو أن مشاعر الحب لدى الأميركيين قد طغت على الكراهية في الآونة الأخيرة بدليل المقال الذي نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» لماري لوبن، زعيمة حزب «الجبهة الوطنية» الفرنسيّ اليميني المتطرف والعنصريّ ضد المسلمين. أما بالنسبة لباقي العالم، الممتد من جزر الأنتيل إلى شمال ووسط وغرب افريقيا، والشرق الأوسط وصولاً إلى جنوب شرق آسيا، فينظر إلى الفرنسيين على أنهم قتلة وجلادون متمرسون، وبأنهم لا يستخدمون لغتهم «المصقولة» و«الحضارية» لوصف مرقة قشطة لذيذة أو تصميم فستان سهرة أنيق، ناهيك عن الغزل والمغازلة، وإنما لإلحاق الألم والمعاناة بملايين لا تحصى من البشر. على الرغم من ذلك، فإن الثقافة الفرنسية المهيمنة تصر على رؤية نفسها من خلال عيونها هي لا عيون الآخرين، ويستفظع معظم الشعب الفرنسي أن يسائلهم أي شخص في العالم عن الصورة الجميلة والوردية التي يحملونها عن أنفسهم.

الوحشية الاستعمارية

سبب هذا التناقض ذو صلة بتاريخ وحاضر السياسات الفرنسية. دعونا نبدأ بالتاريخ: يسرد لنا تقرير عن الفظائع الاستعمارية الفرنسية في الهند الصينية للسنوات 1930.1933، في أعقاب اندلاع تمرد خليج ين في شباط/ فبراير عام 1930، بعض أساليب التعذيب الوحشية العزيزة على قلوب الضباط الفرنسيين. ووفقاً للناشطة الفرنسية الشهيرة أندريه فيولي، فقد تضمنت أساليب التعذيب، بالإضافة إلى استخدام الكهرباء، والحرمان من الغذاء، والضرب بالعصا (على جلد باطن القدمين)، ودق المسامير تحت الأظافر، والشنق النصفي، والحرمان من المياه، وتثبيت الكماشات على جانبي الجمجمة (لإخراج العيون من محاجرها) وغيرها. كما تتضمن طريقة أخرى أكثر حساسية وهي استخدام «شفرة حلاقة، لشق أخاديد طويلة في جلد الساقين، وملء الجرح بالقطن ومن ثم إشعال النار بالقطن».

في عامي 1947.1948، جن جنون السلطات الاستعمارية الفرنسية في مدغشقر وعاث الجنود الفرنسيون بالأرض فساداً، ما أسفر عن مقتل واغتصاب سكان الجزيرة، وإحراق قرى بكاملها، عقاباً لهم على الانتفاضة القومية المدغشقرية المناوئة للاستعمار. وشملت بعض الممارسات ووسائل التعذيب التي يختص بها الفرنسيون تحديداً، والتي أطلق لها العنان على شعب مدغشقر، ما يسمى بـ «رحلات الموت الجوية»، حيث كانت تلقي الطائرات العسكرية الفرنسية المدغشقريين في وسط البحر ليموتوا غرقاً ويصبحوا في عداد «المفقودين».

وقد افتخر الفرنسيون بهذا الأسلوب الإجرامي لدرجة أن السلطات الاستعمارية الفرنسية في الجزائر قررت استخدامه بعد بضع سنوات أثناء معركة الجزائر العاصمة في عامي 1956.1957، حيث قرر المظليون الفرنسيون تعديل طريقة القتل الوحشية عندما أخذت جثث القتلى الجزائريين تطفو على سطح البحر فاضحة جرائمهم. ما دفعهم لإجراء بعض التعديلات على عملية القتل هذه، وذلك بربط كتل خرسانية بأقدام الضحايا لضمان غرقهم بشكل دائم (وقد وجد جنرالات الأرجنتين الذين دعمتهم الولايات المتحدة في أواخر السبعينيات هذه الطريقة ملائمة جداً لجهودهم في قمع المقاومة للدكتاتورية التي مأسسوها هناك، فاستخدموها من دون رادع).

لم تكن أساليب التعذيب هذه التي وضعها الفرنسيون وليدة اللحظة، بل كانت قسوة مدروسة جيداً ومجربة أيضاً. ففي الجزائر في القرن التاسع عشر، قام الجنرال سانت ارنو بحرق الثوار الجزائريين أحياءً في الكهوف، كما قام جنوده باغتصاب النساء الجزائريات، وهي جرائم استمر الجنود الفرنسيون باقترافها أثناء الثورة الجزائرية في الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين.

وتشمل تقديرات الذين قتلوا على أيدي الفرنسيين أكثر من مليون فييتنامي ومليون جزائري. أما بالنسبة لمدغشقر، فتصل التقديرات إلى أكثر من مئة ألف شخص قتلوا على أيدي الفرنسيين. وهذه ليست بالطبع سوى أمثلة قليلة على الوحشية الاستعمارية الفرنسية في بعض المستعمرات وليست قائمة شاملة على الإطلاق. أما الاستعمار الفرنسي الذي طرح نفسه كحامل لواء «مهمة حضارية» أو «تحضيرية» أو ما أسموه بـ mission civilisatrice فقد أخفق بشكل واضح بتحضير الفرنسيين أنفسهم قبل أن يحضر أي شعب آخر. ولما تزل هذه المهمة التحضيرية، على ما يبدو، حتى الآن غير منجزة!

الكاثوليكية العلمانية

لا تقتصر مسألة الكيفية التي يُنظر بها للفرنسيين فقط على التاريخ، بل هي ذات صلة أيضاً بالحاضر. ففي حين كان دمج السكان الأصليين في ثقافة وحضارة الفرنسيين المستعمِرين جوهر الكولونيالية والبرنامج الاستعماري الفرنسي، فقد راحت هذه الفلسفة تطارد الفرنسيين أنفسهم بعد انسحابهم الجزئي من المستعمرات، ووجدوا أن المهاجرين الأفارقة والعرب والهنود الصينيين، وغيرهم، في فرنسا «غير قابلين للاندماج» في السبل «الفرنسية». ويبدو أن المهاجرين إلى فرنسا من الألمان والروس والإسبان والإيطاليين، والمجريين على وجه الخصوص، هم فقط القابلون للدمج والاستيعاب الآن في المجتمع الفرنسي، بخلاف المهاجرين ذوي البشرة الغامقة، ولا سيما غير المسيحيين منهم.

وقد أسفرت مذبحة الجزائريين . الفرنسيين التي ارتكبتها الشرطة الفرنسية في تشرين الأول/ أكتوبر 1961 في باريس، والتي كانت مستوحاة بوضوح من «رحلات الموت الجوية» والتي تخصص فيها الجيش الفرنسي في الجزائر ومدغشقر، عن مقتل ما يزيد عن 200 متظاهر مسلم (تصل بعض التقديرات إلى ما يفوق 400 متظاهر) عن طريق اطلاق النار عليهم بالرصاص أو رميهم في نهر السين. ولم تقرّ الحكومات الفرنسية المتعاقبة المهيمِن عليها الفرنسيون الكاثوليكيون حتى عام 1998 بالواقعة، معترفة أخيراً بأن الشرطة قتلت مجرد 40 متظاهراً من ما مجموعه 200 إلى 400 ضحية.

أما معظم ضحايا الحكومة الفرنسية التي يهيمِن عليها الفرنسيون الكاثوليكيون، فيرون أن هذه الأعمال الوحشية والقاسية هي بمثابة سمة رئيسة للثقافة الفرنسية الكاثوليكية، إن لم تكن من مكوناتها الأساسية. وهذا الانطباع ليس حكراً على المسلمين الفرنسيين فحسب (حيث اشتقت السلطات الاستعمارية الفرنسية فئة «الفرنسيين المسلمين» أو "Français musulmans" في الجزائر في القرن التاسع عشر كمفهوم قانوني يطالب الجزائريين، من أجل الحصول على الجنسية الفرنسية بكامل حقوقها، بنبذ «الشريعة الإسلامية»، بما في ذلك تعدد الزوجات)، بل يشاركهم فيه اليهود الفرنسيون أيضاً الذين يرون بدورهم أن معاداة السامية هي أيضاً سمة رئيسة للثقافة الفرنسية الكاثوليكية. حيث أن الأخيرين قد تعرضوا من قبل نابليون عام 1806 إلى اختبار -علماني أو كاثوليكي؟- مماثل، ما اضطرهم، لتبديد مخاوفه، لالتزام أنهم لن يتبعوا شرائع تعدد الزوجات والطلاق اليهودية التي تتناقض مع قوانين الدولة الفرنسية ولن يمارسوها كشرط لتحررهم من التمييز. بطبيعة الحال، تتقاطع قوانين الدولة الحديثة العلمانية في فرنسا صدفة مع فرض الزواج الأحادي الكاثوليكي الأصل والمنبع، وتتناقض أيضاً صدفة مع شريعة تعدد الزوجات اليهودية. وبعد كل ذلك، لا يزال الفرنسيون يرون ويقدمون أنفسهم للعالم على أنهم عشاق حساسون

لم تكن اساليب التعذيب التي وضعها الفرنسيون وليدة اللحظة، بل كانت قسوة مدروسة جيدا (ارشيف)

«داعش»: بين تمدده ومواجهته؟ نحو إدارة

علي إبراهيم مطر *

الدول العربية في خطر سياسياً، واجتماعياً وأمنياً، فتنظيم «داعش» لا يزال يتمدد نحوها، والتحالف الدولي لم يستطع ايقافه. حتى الآن لم يتمكن المجتمع الدولي من وضع خطط فعالة لمواجهة «داعش»، بل بات التنظيم يهدد بالانتقال إلى الدول الغربية. لذلك تطرح تساؤلات كثيرة عن نجاح «التحالف» في مكافحة «داعش»، خصوصاً أنه بات هناك شبه إجماع دولي وأميركي على أن الضربات الجوية غير كافية، ولا تزال معركة التحالف ضد التنظيم طويلة.

ولا يزال الغموض يكتنف الاستراتيجية الاميركية، وذلك نتيجة عدم توحيد الجهود الدولية لمكافحة الإرهاب عبر تعاون الدول في مواجهته خصوصاً أن قوة التحالف تقوم على أميركا فقط. إذا، ما هو الحل المتقرح أو البديل الذي يمكن أن يكون مقبولاً لدى جميع الدول خصوصاً تلك المتضررة من الإرهاب.

أ: نحو إدارة دولية لمكافحة الإرهاب

لا شك في أن خطر «داعش»، مع ما يرتكبه من جرائم . ومكافحته، لا يشكلان أزمة إقليمية فقط، بل بات أزمة دولية متشعبة الأسباب، والأطراف والتداعيات، وإن كان المتضرر الأكبر دول الإقليم لا سيما سوريا والعراق. وبالتالي فلا بد من إيجاد حل جدي وفعلي لهذه الأزمة الدولية. هذا الحل يمكن أن يكون من خلال شقين، الأول تشكيل إدارة دولية لمكافحة الإرهاب، أما الثاني والذي يعتبر الأنجح لمنطقتنا فهو تشكيل تحالف إقليمي يضم الدول العربية والإسلامية.

يخضع العالم اليوم لشكل من الإدارة الدولية بجميع أطرافها ومكوّناتها، وليس من دولة واحدة في هذا الإقليم قادرة على ممارسة سيادتها واستقلالها كعضو فعّال في المجتمع الدولي، بل هناك نزوع لدى بعض الدول من أجل الاعتراف لها بخياراتها الداخلية المستقلة وبشيء من النفوذ الإقليمي، ما يمنع الاتفاق بينها من خارج ائتلاف جامع. ويعتبر مفهوم الإدارة الدولية من المفاهيم الحديثة في العلاقات الدولية والتنظير الدولي، وقد طرح بشكل جدي لمعالجة العديد من الأزمات.

لكن حتى الآن لا يزال استخدام مفهوم الإدارة الدولية قليلاً جداً، فلطالما رفضت الدول التنازل عن سيادتها من أجل اتحاد دولي يشكل مدخلاً لإدارة الملفات الحساسة التي تهم المجتمع الدولي، باستثناء تلك المنظمات والمجموعات التي تتشكل من قبل الدول الكبرى لرعاية مصالحها. فالدول ما زالت حتى الآن ترى أن لا سلطة تعلو فوق سلطتها أو تفرض عليها ما لا تريده. لذلك، فإن فكرة الإدارة الدولية لم تكن مطروحة على المستوى الدولي، باستثناء ما طرحه بعض المنظرين الذين يروون فيها حلاً للخلاص من المشاكل التي تواجه الكثير من الأزمات العالقة.

ب: نظرية الإدارة الدولية

يعتبر بنتام من أفضل المفكرين الذين أسسوا لاستخدام عبارة قانون دولي أو قواعد دولية. كذلك الفيلسوف كانت الذي نادى بجمهورية عالمية أو اتحاد عالمي للشعوب.

بالنسبة إلى سموتس م.ك. فإن خيار الاعتقاد بالعلاقات الدولية من خلال مصطلح الإدارة الدولية يسمح بإعطاء رؤى للأشخاص وللتفاعلات التي أهملتها الأدبيات الواقعية، ويجدد التفكير حول فكرة المجتمع الدولي.

إن الدولة بصفتها عضواً في المؤسسات الدولية تقرر مع مجموعة الدول المبادئ والإجراءات التنفيذية في إطار الإدارة الدولية أو التحكم الدولي، وهي التي تتولى تنفيذ الاتفاقات وتطبيق القرارات الصادرة عن المؤسسات الدولية بموجب قوانين تصدرها في إطار اقليمها كونها ما زالت تتمتع تجاهه بالسلطات التشريعية والقضائية، وهي التي تنقل ارادة شعبها إلى المحافل الدولية.

ولذلك، يمكن تعريف الإدارة الدولية بأنها نشاط يهدف لخلق تفاعل تنظيمي هادف على مستوى إقليمي أو دولي.

الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير
المدير المسؤول:
ابراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير:
بيار ابي صعب

■ مديرا التحرير:
إيلي شلهوب،
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير:
محمد زبيب
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري
شربل كريّم

■ صادرة عن شركة
أخبار بيروت

■ المكاتب بيروت
فردان شارع دونان
سنتر كونكورد
الطابق السادس
■ تلفاكس:
01759500
01759597
■ ص.ب 113/5963

■ الإعلانات
الوكيل الحصري
شركة بروموفيكس
01/788200

■ التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314
03 / 828381

■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper